ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة

ذكر حصار بغداد

في هذه السنة حاصر طاهر، وهرثمة، وزهير بن المسيّب الأمين محمداً ببغداد فنزل زهير بن المسيّب الضبي برقة كلواذى، ونصب المجانيق والعرادات، وحفر الخنادق[١].

وكان يخرج في الأيام عند اشتغال الجند بحرب طاهر، فيرمي بالعرادات ويعشّر أموال التجار، فشكا الناس منه إلى طاهر[٢].

فنزل هرثمة نهر بين، وعمل عليه خندقاً وسوراً، ونزل عبيد الله بن الوضّاح بالشماسية، ونزل طاهر البستان الذي بباب الأنبار، فلما نزله شقّ ذلك على الأمين، وتفرّق ما كان بيده من الأموال، فأمر ببيع ما في الخزائن من الأمتعة، وضرب آنية الذهب والفضة ليفرّقها في أصحابه، وأمر بإحراق الحربية، فرميت بالنفط والنيران، وقتل بها خلق كثير[٣].

واستأمن إلى طاهر سعيد بن مالك بن قادم، فولاّه الأسواق وشاطىء دجلة وما اتصل به، وأمره بحفر الخنادق و[بناء] الحيطان[1] في[2] كل ما غلب عليه من الدروب،

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٤٥)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٣٦)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٢٠).

(٢) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٢٩٣) مختصراً، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٣٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٧٥، ٦٧٦) مختصراً، وذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٤٥، ٤٤٦).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٤٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٣٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٧٦)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٢٩٣، ٢٩٤)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٣/ ٤١٢) بمعناه مختصراً.

---

(1) في المخطوطة: لحيطان.

(2) في المخطوطة: و.

وأمدّه [1]بالأموال والرجال[1] فكثر الخراب ببغداد والهدم، فدرست المنازل(١).

ووكّل الأمين علياً أفراهمرد بقصر صالح، وقصر سليمان بن المنصور إلى دجلة، فألحّ في إحراق الدور والدروب، والرمي بالمجانيق، وفعل طاهر مثل ذلك، فأرسل إلى أهل الأرباض من طريق الأنبار وباب الكوفة وما يليها، فكلما أجابه أهل ناحية خندق عليهم، ومن أبى إجابته قاتله وأحرق منزله، [2]ووحشت[2] بغداد وخربت(٢).

فقال حسين الخليع:

ج٥/١٥٧/ط أَتُسْرِعُ الرِّحْلَةَ إغذاذاً عَنْ جانِبَيْ بَغداذ أمّا ذا[3]/

ج٥/٥٠/ب أَمَا تَرَى الفِتْنَةَ قَدْ ألَّفَتْ إلى أُولي الفِتْنَةِ شُذَّاذا/

وَانْتَقَضَتْ بَغداذ عُمْرَانُها عَنْ رَأيِ لا ذَاكَ ولا هَذا

هَدْماً وَحَرْقاً قَدْ أَبَادَ أهلَهَا عُقُوبَةٌ لاذَتْ بِمَنْ لاذا

ما أحْسَنَ الحالاتِ إنْ لم تَعُدْ بَغدادُ فِي القِلَّةِ بغداذا(٣)

وسمّى طاهر الأرباض التي خالفه أهلها، ومدينة المنصور، وأسواق الكرخ، والخلد دار النكث، وقبض ضياع من لم يخرج إليه من بني هاشم والقوّاد وغيرهم، وأخذ أموالهم فذلوا وانكسروا، وذل الأجناد وضعفوا عن القتال، إلا باعة الطريق، والعراة، وأهل السجون، والأوباش، والطرارين، وأهل السوق، فكانوا ينهبون أموال الناس، وكان طاهر لا يفتر في قتالهم(٤).

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٤٦، ٤٤٧)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٢٩٤)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٣٦، ٣٧)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٧٦) بمعناه، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٣/ ٤١٢).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٤٧)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٢٩٤)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٣٧).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٤٧).

(٤) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٢٩٤) مختصراً، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٣٧)، وذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٤٧، ٤٤٨).

(1-1) في المخطوطة: بالرجال والأموال.

(2-2) في المخطوطة: فأوجثت.

(3) في المخطوطة: ماذا.

فاستأمن إليه على أفراهمرد الموكّل بقصر صالح، فأمنه وسيَّر إليه جنداً كثيفاً، فسلم إليه ما كان بيده من تلك الناحية في جمادى الآخرة. واستأمن إليه محمد بن عيسى صاحب شرطة الأمين ـ وكان مجدًّا في نصرة الأمين ـ فلما استأمن هذان إلى طاهر أشفى الأمين على الهلاك، وأقبلت الغواة من العيارين، وباعة الطريق، والأجناد، فاقتتلوا داخل قصر صالح قتالاً عظيماً قتل فيه من أصحاب طاهر جماعة كثيرة، ومن قوّاده جماعة، ولم تكن وقعة قبلها ولا بعدها أشد على طاهر منها[١].

ثم إن طاهراً كاتب القوّاد الهاشميين وغيرهم، بعد أن أخذ ضياعهم ودعاهم إلى الأمان والبيعة للمأمون، فأجابه جماعة منهم: عبد الله بن حميد بن قحطبة، وإخوته، وولد الحسن بن قحطبة، ويحيى بن علي بن ماهان، ومحمد بن أبي العباس الطائي، وكاتبه غيرهم، وصارت قلوبهم معه[٢].

وأقبل الأمين بعد وقعة قصر صالح على الأكل والشرب، ووكّل الأمر إلى محمد بن عيسى بن نهيك، وإلى الهرش، فكان من معهما من الغوغاء والفساق يسلبون من قدروا عليه، وكان منهم ما لم يبلغنا مثله[٣].

فلما طال ذلك بالناس خرج عن بغداد من كانت به قوة، وكان أحدهم إذا خرج أمَّن على ماله ونفسه، وكان مثلهم كما قال الله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾[٤][٥].

وخرج عنها قوم بعلَّة الحج ففي ذلك يقول شاعرهم:

أَظْهَرُوا الحَجَّ وَمَا يَنْوُونَهُ ... بَلْ مِنَ الهَرْشِ يُرِيْدونَ الهَرَبْ

كَمْ أُنَاسٍ أضبَحوا فِي غِبْطَةٍ ... وُكِّلَ الهَرْشُ عَلَيهِم بالعَطَبْ[٦]

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٣٧، ٣٨) مختصراً، وذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٥٥)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٢٩٤) مختصراً، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٣/ ٤١٢) بمعناه مختصراً.

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٥٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٧٦).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٥٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٧٦).

(٤) سورة: الحديد، الآية: ١٣.

(٥) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٥٦).

(٦) ذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٣/ ٤١٧)، وذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٦٣).

وقال بعض فتيان بغداذ:

بَكَيْتُ دَماً على بَغْداد لما ... فقَدتُ غَضَارَةَ العَيشِ الأَنيقِ
تَبَدَّلْنا هُمُوماً من سُرورٍ ... وَمِن سَعةٍ تَبَدَّلْنا بِضِيْقِ
أَصَابَتْنَا مِنَ الحُسَّادِ عَيْنٌ ... فَأَفْنَتْ أَهْلَهَا بالمِنْجَنِيْقِ
وَقَوْمٌ أُحْرِقُوا بالنَّارِ قَسْراً ... وَنَائِحَةٌ تَنُوحُ عَلَى غَرِيقِ
وَصَائِحَةٌ تُنَادِي وَاصَبَاحا ... وَبَاكِيَةٌ لِفُقْدَانِ الشَّقِيقِ
وَحَوْرَاءُ المَدَامِعِ ذَاتُ دَلٍّ ... مُضَمَّخَةُ المَجَاسِدِ بالخَلوقِ
تَفِرُّ مِنَ الحَرِيقِ إلى انْتِهَابٍ ... وَوَالِدُهَا يَفِرُّ إلى الحَرِيقِ
وسالِبَةُ الغَزَالَةِ مُقْلَتَيْهَا ... مَضَاجِعُهَا كَلألاءِ البُرُوقِ/ ج٥ ١٥٨/ط
حَيَارَى هَكَذَا وَمُفَكِّرَاتٌ ... عَلَيهِنَّ القَلائِدُ فِي الحُلُوقِ
يُنَادِينَ الشَّفِيقَ وَلا شَفِيقٌ ... وَقَد فُقِدَ الشَّفِيقُ مِنَ الشَّفِيقِ
وَمُغْتَرِبٌ قَرِيْبُ الدَّارِ مُلقَى ... بِلا رَأسٍ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ
تَوَسَّطَ مِنْ قِتَالِهِم جَمِيْعاً ... فَمَا يَدْرونَ مِنْ أيِّ الفَرِيقِ
فَمَا وَلَدٌ يُقِيمُ عَلَى أَبِيْهِ ... وَقَدْ فَرَّ الصَّدِيقُ عَنِ الصَّدِيقِ
وَمَهْمَا أَنْسَ مِن شَيءٍ تَوَلَّ ... فَإِنِّي ذَاكِرٌ دارَ الرِّفِيقِ[1]

وقال الجرمي قصيدة طويلة نحو مائة وخمسين بيتاً، أتى فيها على جميع الحوادث ببغداذ في هذه الحرب، تركتها لطولها، وذكر أن قائداً من أهل خراسان، من أصحاب طاهر، من أهل النجدة والبأس، خرج يوماً إلى القتال فنظر إلى قوم عراة لا سلاح معهم فقال لأصحابه: ما يقاتلنا إلا من نرى استهانة بأمرهم، واحتقاراً لهم، فقيل له: نعم! هؤلاء هم الآفة، فقال لهم: أفٌ لكم حين تنهزمون من هؤلاء، وأنتم في السلاح والعدة والقوة، وفيكم الشجاعة، وما عسى يبلغ كيد هؤلاء ولا سلاح معهم، ولا جنة تقيهم، وتقدّم إلى بعضهم وفي يديه بارية مقيرة، وتحت إبطه مخلاة فيها حجارة، فجعل الخراساني كلما رمى بسهم استتر منه العيار، فوقع في باريته أو قريباً منها، فيأخذه ويتركه معه، وصاح: دانق، أي ثمن النشابة دانق قد أحرزه، فلم يزالا كذلك حتى فني سهام

(١) ذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٣/ ٤١٤)، وذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٥٦، ٤٥٧).

الخراساني، ثم حمل عليه العيار ورمى بحجر من مخلاته في مقلاع، فما أخطأ عينه، ثم [1]خر فكاد[1] يصرعه، فانهزم وهو يقول: ليس هؤلاء بناس، فلما سمع طاهر خبره ضحك منه[(١)].

فلما طال ذلك على طاهر وقتل من أصحابه في قصر صالح من قتل، أمر بالهدم والإحراق، فهدم دور من خالفه ما بين دجلة، ودار الرقيق، وباب الشام، وباب الكوفة إلى الصراة، وربض حميد، ونهر كرخايا، فكان أصحابه إذا هدموا داراً أخذ أصحاب الأمين أبوابها وسقوفها، فيكونون أشد على أهلها، فقال شاعر منهم:

لَنَا كُلّ يَوْم ثُلْمَةٌ لا نَسُدُّهَا ... يَزِيْدونَ فِيْمَا يَطْلبون وَنَنْقُصُ[(2)]

إذا هَدَمُوا داراً أَخَذْنَا سُقُوفَهَا ... وَنَحْنُ لأخرَى غَيرِهَا نَتَرَبَّصُ/ ج٥/٥١/أ

فإن حَرصُوا يَوماً عَلى الشَّر جَهدَهمُ ... فَغَوْغَاؤنَا مِنْهُم عَلَى الشرَّ أَحْرَصُ

فَقَدْ ضَيَّقوا مِن أرْضِنَا كلَّ واسعٍ ... وَصَارَ لَهُم أَهلٌ بِهَا وَتَعرّصوا

يُثِيرُونَ بالطَّبْلِ القَنيصَ فإنْ بَدَا ... لَهُمْ وَجْهُ صَيْدٍ مِنْ قَرِيبٍ تَقَنْصُوا

لَقَدْ أَفْسَدوا شَرْقَ البِلاَدِ وَغَرْبُهَا ... عَلَيْنَا فَمَا نَدْرِي إلى أَيْن نَشْخَصُ

إذا حَضَروا قَالوا بِمَا يَعرِفُونَه ... وَإنْ لَم يَرَوا شَيْئاً قَبِيْحاً تَخَرَّصُوا

وَمَا قَتلَ الأبطال مِثْلُ مُجَرَّبٍ ... رَسولِ المَنَايا لَيلَةُ يَتَلَصَّصُ[(٢)]

في أبيات غيرها، فلما رأى طاهر أن هذا جميعه لا يجفلون به، أمر بمنع التجار عنهم، ومنع من/ حمل الأقوات. وغيرها، وشدد في ذلك، وصرف السفن التي يحمل فيها إلى الفرات، فاشتد ذلك[3] عليهم وغلت الأسعار، وصاروا في أشد حصار[(٣)]. ج٥/١٥٩/ط

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٥٧، ٤٥٨)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٣٧)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٣/ ٤١٤) مختصراً.

(٢) ذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٣/ ٤١٥) مختصراً، وذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٥٩) مطوّلاً.

(٣) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٧٦) مختصراً، وذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٦٠، ٤٦١)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٣٨)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٢٠) مختصراً.

(1-1) في المخطوطة: تأخر و.

(2) في المخطوطة: ينقص.

(3) في المخطوطة: ذاك.

فأمر الأمين ببيع الأموال وأخذها، ووكّل بها بعض أصحابه، فكان[1] يهجم على الناس في منازلهم ليلاً ونهاراً، فاشتدّ ذلك على الناس، وأخذوا بالتهمة والظنة(١).

ثم كان بينهم وقعة بدرب الحجارة، قتل فيها من أصحاب طاهر خلق كثير، ووقعة بالشماسية خرج فيها حاتم بن الصقر في العيارين وغيرهم إلى عبيد الله بن الوضّاح، فأوقعوا به وهو لا يعلم، فانهزم عنهم وغلبوه على الشماسية، فأتاه هرثمة يعينه، فأسره بعض أصحاب الأمين وهو لا يعرفه، فقاتل عليه بعض أصحابه حتى خلّصه، وانهزم أصحاب هرثمة فلم يرجعوا يومين(٢).

فلما بلغ طاهراً ما صنعوا عقد جسراً فوق الشماسية، وعبر أصحابه إليهم، فقاتلوا أشد قتال، حتى ردّوا أصحاب الأمين، وأعاد أصحاب عبيد الله بن الوضّاح إلى مراكزهم، وأحرق منازل الأمين بالخيزرانية ـ وكانت النفقة عليها بلغت عشرين ألف ألف درهم (٣) ـ .

وقتل من العيارين كثير، فضعف أمر الأمين فأيقن بالهلاك، وهرب منه عبد الله بن خازم بن خزيمة إلى المدائن، خوفاً من الأمين؛ لأنه اتّهمه وتحامل عليه السفلة والغوغاء، فأقام بها، وقيل: بل كاتبه طاهر، وحذّره قبض ضياعه وأمواله(٤).

ثم إن الهرش خرج ومعه لفيفة وجماعة إلى جزيرة العباس، وكانت ناحية لم يقاتل فيها، فخرج إليه بعض أصحاب طاهر فقاتلوه، فقوي عليهم، فأمدّهم طاهر بجند آخر، فأوقعوا بالهرش وأصحابه وقعة شديدة، فغرق منهم بشر كثير، وضجر الأمين وخاف حتى قال يوماً: وددت أن الله قتل الفريقين جميعاً فأراح الناس منهم، فما منهم إلا عدو لي،

---

(١) ذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٣/ ٤١٦).

(٢) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٧٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٣٨)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٢٩٤) مختصراً، وذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٦٣ ـ ٤٦٥).

(٣) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٧٧) بمعناه، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٢٩٤)، وذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٦٦).

(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٦٧)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٢٩٤) مختصراً، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٣٨، ٣٩).

---

(1) في المخطوطة: وكان.

أما هؤلاء فيريدون مالي، وأما أولئك فيريدون نفسي، وضعف أمره، وانتشر جنده، وأيقن بظفر طاهر به[١].

ذكر عدة حوادث

وحج بالناس هذه السنة: العباس بن موسى بن عيسى، بتوجيه طاهر إياه على الموسم بأمر أمير المؤمنين المأمون[٢].

وفيها سار المؤتمن بن الرشيد، ومنصور بن المهدي إلى المأمون بخراسان، فوجّه المأمون أخاه المؤتمن إلى جرجان[٣].

وفيها كان بالأندلس غلاء شديد، وكان الناس يطوون الأيام، ويتعللون بما يضبط النفس.

الوفيات

وفيها مات: وكيع بن الجرّاح الرؤاسي بفيد، وقد عاد عن الحج، وبقية بن الوليد الحمصي، وكان مولده سنة عشر ومائة، ومحمد بن مليح بن سليمان الأسلمي، ومعاذ بن معاذ أبو المثنى العنبري، وله سبع وسبعون سنة.

---

(١) ذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٣/ ٤١٨)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٣٩)، وذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٧٠، ٤٧١).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٣٩)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٧٧)، وذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٧١)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٤/ ٤٠٤)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٢/ ١٦٧).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٤٤٥).